الخطاب الافتتاحي

الذي ألقاه أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢١/٨/٦م

في الجلسة السنوية للجماعة في بريطانيا في حديقة المهدي

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

لقد ذكر المسيح الموعود عليه السلام الغرض من عقد الجلسة السنوية وهو إنشاء علاقة خاصة مع الله تعالى والاستماع إلى أوامر النبي ﷺ من أجل إصلاح النفوس والعمل بها. كأننا نجتمع في هذه الأيام لإرواء غليلنا الروحاني وينبغي أن نجعل هذا الهدف نصب أعيننا دومًا.

كما قلت في خطبة الجمعة أيضا أن جلسة هذا العام مقصورة على عدد محدد للمشاركين بسبب الأوضاع الخاصة، وأنها تعقد بعد انقطاع دام سنة كاملة. رحمنا الله تعالى ورفع عنا هذا الوباء في القريب العاجل لتعود الأوضاع مرة أخرى إلى مجراها الطبيعي وتُعقد الجلسة بكل عظمتها وجمالها، ولكن اعلموا أن عظمتها الحقيقية تظهر عندما ينتبه المشاركون إلى إحداث تغييرات طيبة في نفوسهم ويسلكون سبل التقوى بصورة دائمة.

على أية حال، لقد اجتمعنا هنا لإرواء غليلنا الروحاني، وهذا لا يعني أن يشرب المرء مرة واحدة هذا الشراب ثم ينتهي الأمر. بل لا ينفع هذا الأمر إلا إذا أخذ المرء شراب أقوال الله تعالى ورسوله معه بعد إرواء غليله به في هذه الأيام، وذلك ليروي به عطشه طوال السنة فينعم بالحفاظ على حياته الروحانية، وألا نعود إلى حالتنا السابقة بعد إحداث التغيير المؤقت في أنفسنا بقضاء ثلاثة أيام تحت تأثير هذا الجو.

لقد رتبتْ بعض فروع الجماعة بحسب ظروفها برنامجًا للاستماع إلى برامج الجلسة بصورة جماعية، ويمكننا رؤيتهم على الشاشة أيضا. هذه تجربة جديدة، وأقيم هذا التقليد الجديد في الجماعة وهو سنّةٌ حسنة يشترك من خلالها الإخوة مستمعين إلى الجلسة هنا جالسين في فروعهم للجماعة في بلاد مختلفة وفي مساجدهم وقاعاتهم، وهكذا يشاهدون الجلسة بشكل مباشر ونستطيع مشاهدتهم أيضا.

وهذا فضل خاص من أفضال الله تعالى أنه يمنّ علينا في هذه الظروف غير المؤاتية بإمكانيات جديدة تتم بها الاستفادة الواسعة النطاق على مستوى الجماعة كلها. على أية حال، إن أفراد الجماعة يستمعون إلى

الجلسة جالسين في مناطقهم، وبعضهم يستمعون إليها في بيوتهم. وينبغي أن تترك هذه الجلسة في نفوس المستمعين تأثيرًا يصبح جزءًا دائمًا من حياتهم، وبعد ذلك يمكننا القول بأننا حققنا الهدف من الجلسة، وأدّينا حق بيعة المسيح الموعود عليه السلام، وبالتالي سنأخذ نصيبًا من دعوات المسيح الموعود عليه السلام أيضا. وبدون ذلك سنظل محرومين من الإنعامات المرتبطة بالجلسة. لقد منّ الله تعالى علينا إذ وفقنا في هذا العصر للإيمان بالمسيح الموعود عليه السلام الذي أرانا السبل التي هي سبل تعاليم الله تعالى ورسوله ﷺ التي يمكننا بالسلوك فيها نيل قرب الله تعالى، ونصبح أمة حقيقية للنبي ﷺ وبالتالي نستفيض بفيض أدعيته ﷺ. فعلى الجميع في هذه الأيام –سواء أكان يستمع إلى الجلسة بوجوده هنا في الجلسة أو مع مجموعة من الأحمديين وفق تنسيق الجماعة أو في البيت مع أهله– أن يجعل نصب عينيه أهداف الجلسة التي سلط المسيح الموعود عليه السلام الضوء عليها في مناسبات شتى ووضحها أيما توضيح. وإذا أردنا تلخيصها في جملة واحدة فهي: الالتزام بالتقوى. لقد قال حضرته بأن تولّدوا الزهد في أنفسكم. فكيف يتولد الزهد؟ لا يمكن أن ينشأ بدون التقوى. معنى الزهد أن يضحي المرء بمشاعره، ويتجنب كل السيئات، وليس هذا فحسب بل ينبغي أن يعاديها ويردها بشدة، ويتجنب أهواء الدنيا ابتغاء لمرضات الله تعالى، ويفوض أموره لله تعالى ولا يخضع إلا أمامه عز وجل. كل هذه الأمور لا تنشأ إلا في الذي يتحلى بالتقوى. فلقد أسدى إلينا المسيح الموعود عليه السلام في كلمة واحدة نصيحةً لو عملنا بها لأحدثنا إنقلابًا في حياتنا. لا يعني الزهد الانقطاع عن الدنيا بصورة تامة. لأن النبي ﷺ قال بأنه ليس صحيحًا أن يترك الإنسان أمور الدنيا ويختار العيش في الغابات.

لقد منع الإسلام تضييع الأموال وعدم الاهتمام بها، كما أن عدم أداء حقوق الأقارب أيضا ممنوع في الإسلام. ومعنى الزهد أن يضحي المرء بمشاعره ابتغاء لمرضات الله تعالى مع عيشه في هذه الدنيا ومع جميع الأمور الدنيوية، وألا تحول أية رغبة دنيوية دون وصوله إلى الله تعالى. فإن كان الله تعالى قد وهب له العزة والثروة فينبغي أن ينفقها في أداء حقوق الله تعالى وحقوق عباده.

لقد تناول حضرة المسيح الموعود عليه السلام هذا الموضوع فقال بأنه من ميزة المؤمن الحقيقي أن يؤثر الدين مع انشغاله في الدنيا. فيمكن أن يعمل في تجارات الدنيا ولكن ينبغي ألا تصبح هي الهدف الأساس له. كان الصحابة أيضا ينشغلون بالتجارات التي كان قوامها مئات الآلاف، ولكنهم لم يكونوا ينسون حقوق الله وحقوق العباد للحظة واحدة.

لقد ذكر المسيح الموعود عليه السلام واقعة من كتاب "تذكرة الأولياء" فقال: كان أحد مشغولا في تجارة قوامُها آلاف الروبيات، فرآه أحد أولياء الله بنظرة الكشف فعلم أن قلبه لم يغفل عن الله لحظة واحدة على الرغم

من انشغاله بهذه التجارة الكبيرة، فعن مثل هؤلاء الناس يقول الله تعالى: ﴿لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾. ومن كمال المرء أن يشتغل في أشغال دنيوية ولا ينسى الله أيضا.

قال عليه السلام: والناسك الذي يلجأ إلى زاوية الخمول متضايقا من الأشغال الدنيوية يبدي ضعفا نوعا ما. لا رهبانية في الإسلام. لا أقول قط أنِ اخذُلوا الزوجات والأولاد واتركوا الأعمال الدنيوية. كلا، بل على الموظف أن يؤدي واجباته الوظيفية جيدا وعلى التاجر أن ينجز أمور تجارته ولكن يجب أن يقدم الدين. (بدر، ١٩٠٧/٣/١٤، ص٦)

هذا هو الزهد الحقيقي، فلا بد أن نرى هل نسعى لنيل هذا المستوى من الزهد؟ ولن يتأتى ذلك ما لم نتحلَّ بالتقوى وما لم نجتنب اللغو لمرضاة الله تعالى وما لم نسعَ للتخلص من سوء الخلق، ولا يكفي التخلص من سوء الخلق بل لا بد من التحلي بالأخلاق الحسنة، وأن نجتنب السيئات وننشر الحسنات، وألا تُبعدنا أموالُنا عن إخوتنا بل تزيدنا مودةً وأُخوةً. فهناك حاجة ماسة لنستعرض أنفسنا من هذه الناحية حتى نتحلى بهذا الزهد ونجعل دُنيانا دينًا ووسيلةً لنيل مرضاة الله تعالى، ولا يمكن حدوث ذلك من دون خشية الله وحبه، وهذا ما يُسمى بالتقوى.

ثم قال حضرته عليه السلام حول حضور الجلسة: لا فائدة لحضور الجلسة ما لم تصبحوا نموذجا لخشية الله، ما هي خشية الله؟ هي خوف الله، ولا يمكن أن تتيسر للإنسان هذه الحالة ما لم يفهم معنى التقوى وما لم يكن في قلبه التقوى. إن الإنسان يقوم بكثير من الأخطاء ويعامل الآخرين بسوء ويهضم حقوقهم ولا يشعر بما يفعل، وفي بعض الأحيان يعلم بما يفعل ولكنه يغتر بالشيطان، وإذا كانت فيه خشية الله وخوفه أو إذا كان على يقين بأن الله تعالى يسمع كل ما يقول ويرى كل ما يفعل وسيؤاخذه على خطاياه وسيئاته لنشأ في قلبه خشية الله، وكلما أراد اغتصاب حق أحد ظهرت أمامه صورة العقاب على هذه الخطيئة، وهذه الخشية الإلهية ستُنقذه من هضم حقوق الآخرين. ثمة حاجة لإدراك مضمون الخشية الإلهية بهذا العمق. ولا يتحدث المسيح الموعود عليه السلام عن خشية الله العادية بل يقول يجب أن تكون بمستوى تصبحوا نموذجا لها بحيث يشهد الناس أنه لو أراد أحد أن يرى من يخشى الله حقيقةً ويضع خشية الله أمامه عند كل قول وفعل فليرَ هذا الشخص الأحمدي. لذا علينا أن نفحص أنفسنا دوما هل نسعى لإحراز هذا المستوى؟

ثم قال المسيح الموعود عليه السلام: عليكم أن تزدادوا عفة وتكونوا أسوة فيها أيضا. أي يجب أن تتوجهوا إلى اجتناب كل نوع من الذنوب. يُبين حضرته عليه السلام الحسنات الكبيرة والسيئات الكبيرة أيضًا ومعها يوصي باجتناب السيئات الصغيرة. ثم قال: يجب أن تكونوا أسوة في العفة أيضا. هذه الأمور المذكورة آنفا هي

شأن المتقي بلا شك ولكن السالك على درب التقوى الحقيقية والمؤدي حق البيعة حقيقةً هو من يكون أسوة في العفة، فلينظر إلى نفسه بنفسه ما هي السيئات التي يجدها في نفسه وهل يسعى لاجتنابها وما هي الحسنات التي يفتقدها وهل يسعى لاكتسابها، وبالنتيجة سيصبح أسوة في العفة. لقد أتيتم للجلسة السنوية فعليكم أن تستعرضوا هذا الشيء أيضا، حينها ستستفيدون من الجلسة حقيقةً.

وإن حضرته عليه السلام بعد أن وجه إلى استعراض أنفسنا بهذه الدقة لفت أنظارنا إلى خُلق عظيم آخر وقال: عليكم أن تكونوا ليِّني القلب. إن من دروب التقوى ومن سبل نيل القرب الإلهي ومن أبواب الدخول في جنات رضى الله تعالى ومن وسائل إحراز الحب الإلهي... لين القلب، وكظم الغيظ بدلا من صب جام الغضب على الآخرين. وإن إظهار ليونة القلب والعفو عن الآخرين رغم أخطائهم لخلق عظيم ذكره الله تعالى في القرآن الكريم كالتالي: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران:١٣٥) فالله تعالى أخبر هنا عن علامة المؤمن الحقيقي الذي يغير من حالته، أما غير المؤمن فلا يمكن أن يقيم هذا المعيار. من يخشى الله ويملك قلبا لينا سيكظم غيظه لوجه الله تعالى وسيعفو عن أخيه، ونادرا ما تجدون من أهل الدنيا مَن يتحلون بهذا الخلق. فهذه هي المعايير التي يجب أن يُريها كل واحد منا. إننا نتشاجر على أتفه الأمور ونسعى لأخذ الثأر والانتقام ولكن الله تعالى قال أن من شأن المؤمن أنه يعفو ويصفح ويكظم الغيظ ومقابل ذلك يحسن الله تعالى إليه بإحسان عظيم ويقول: إنني مقابل إحسانك إلى أخيك أُحسن إليك بِحبّي. إذن كظمُ المرء غيظه الجائز لوجه الله تعالى وإحسانه على الآخر محبوب عند الله تعالى لدرجة أنه ﷻ يحبه. اللهم إلا إذا كان هناك مسألة العزة الله تعالى وإظهار الغيرة له أو مسألة كرامة الرسول ﷺ عندها يجب إظهار الغيرة له، ولكن إظهار الغضب والتشاجر والانتقام لأتفه الأمور غلط. فالذي ينال حب الله تعالى ماذا يريد أكثر من ذلك. إن حب الله تعالى يذهب بالمرء إلى الجنة ويملأ حياته بالحسنات. فعدم عفو المرء عن إخوته وإطالة القضايا بغير حق والذهاب إلى دار القضاء والمحاكم إنما يُنشئ في المجتمع فسادا ونزاعات ويجب على المؤمن الحقيقي أن يجتنبها.

لم يأمرنا المسيح الموعود عليه السلام بكظم الغيظ فقط، وإن كان ذلك حسنة كبيرة، علما أن كظم الغيظ صعب جدا وهو حسنة كبيرة، ولكن الله تعالى أمرنا بالوصول إلى مقام أعلى من ذلك، كذلك يريد المسيح الموعود عليه السلام منا أن نعفو بصدق القلب وينبغي ألا تكون في القلب أدنى كدورة. فهذا هو العفو الحقيقي، وهذه هي ليونة القلب، وهذا هو المقام الذي يحب الله تعالى أن نحتله. فلو وصلنا إلى هذا المستوى لكنا محققين أهداف هذه الجلسة بحسب أمنية المسيح الموعود عليه السلام. فكل واحد منا يستطيع أن يحاسب نفسه بنفسه، هل يسعى للوصول إلى هذا المستوى؟ صحيح أن الآخرين يرون العلاقة والحب المتبادل بين أفراد

الجماعة ولكن يجب ألا نرضى بهذا إلا إذا أظهر كل واحد منا ليونة في قلبه ومارس العفو لإخوته، عندها يكون قد وصل إلى مستوى يتراءى فيه أمثلة الإحسان في كل خطوة. يقول رسول الله ﷺ ناصحا إيانا بهذا الشأن: مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ. (سنن ابن ماجه، كتاب الزهد)

إذن، فلنضع رضا الله تعالى في الحسبان دائما. فما أسعد الذين يحاولون منا أن يصلوا إلى هذا المستوى من ليونة القلب. وهذا هو التعليم الحقيقي الذي يضمن نشر الحب ويهدم جدران الكراهية.

فعلينا أن نسعى جاهدين في أيام الجلسة أن ننشر الحب ونهدم جدران الكراهية أكثر محققين أمنية المسيح الموعود عليه السلام وعاملين بتعليمه، وهناك حاجة ماسة إلى هذا الأمر. يقول المسيح الموعود عليه السلام ناصحا إيانا: " اعلموا أن هناك عداوة شديدة بين العقل والهياج، عندما يغضب الإنسان وتثور ثورته لا يستقيم العقل. ولكن الذي يصبر ويري نموذج الحِلم يُعطى نورا يخلق نورا جديدا في قوى العقل والفكر ويظل النور يتولد من النور. أما في حالة الغضب والهياج فيُظلِم القلب والذهن فيؤدي هذا الظلام إلى ظلام آخر."

وقال عليه السلام أيضا في مكان آخر: "اعلموا أن الذي يقسو ويغضب لا يخرج من لسانه كلام الحكمة والمعرفة قط. القلب الذي يستشيط غضبا سريعا مقابل خصمه يُحرم من كلام الحكمة. إن شفتَي بذيء اللسان وخليع الرسن تُحرم من ينبوع اللطائف. (أي لا يخرج من لسانه كلام مبني على الحكمة والمعرفة، بل يُحرم منها) الغضب والحكمة لا يجتمعان في مكان واحد. إن عقل شخص سريع الغضب يكون سطحيا وفهمه غير سديد. ولا يُعطى الغلبة والنصرة في أي مجال. الغضب نصف الجنون وعندما يستشري أكثر يمكن أن يصبح الجنون كله."

إذن، الغضب لا يكون سببا للخسارة المؤقتة فقط بل عندما يغضب أحد الفريقين يستشيط الفريق الثاني أيضا غضبا ويبدأ الشجار فيؤذي الفريقان بعضهما بعضا. فالمعتادون على الغيظ على هذا النحو يُحرمون من الحكمة والفطنة. من المعلوم أن الذي يستخدم لسانًا بذيئا وسيئا لا يخرج من فمه كلام الحكمة والحسنة، فمن حُرم من كلام الحسنة والمعرفة يخلو من التقوى كليا. وإذا وُجد شخص مثله في أجواء الجلسة فلن يستفيد منها شيئا. لذلك لا يحب المسيح الموعود عليه السلام أن يتصرف أي فرد من أفراد جماعته على هذا النحو، فيفسد أجواء الجلسة باشتراكه فيها ويُفسد الأجواء المحيطة به في حياته اليومية بوجه عام. فحاسبوا أنفسكم بوجه عام أيضا في هذه الأيام واضعين هذه الأمور في الحسبان.

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام أنه يجب على كل أحمدي أن يكون مضرب المثل في الحب والأخوة المتبادلة لدرجة تكون هذه المحبة والأخوة قدوة للآخرين. وهذا أيضا من أهداف الجلسة الذي يتحلى به أفراد

الجماعة. ولهذا الغرض قدم لنا القرآن الكريم أسوة أعلى وجديرة بالتقليد وهي أسوة أصحاب النبي ﷺ في المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين، وقد ذكرها القرآن الكريم كما يلي: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ١٠) وقد نصحنا رسول الله ﷺ أن نتأسى بأسوتهم. فقد أبدى الصحابة الأنصار حبا وأخوة متبادلة لدرجة كانوا جاهزين لتقديم التضحية من أجل إخوتهم المهاجرين واستعدوا ليعطوهم جزءًا من أملاكهم، بل بلغوا في ذلك حدا أنه إذا كان عند أحد من الأنصار أكثر من زوجة عرض على أخيه المهاجر أنه جاهز ليطلق إحدى زوجاته ليتزوجها أخوه المهاجر. كذلك المهاجرون أيضا ضربوا أمثلة سامية من الحب والمواخاة فقالوا للأنصار أن يحتفظوا بأملاكهم وليساعدوهم مساعدة مؤقتة فقط. هذه الأعمال والتصرفات هي التي تؤدي إلى ازدياد الحب والأخوة إذ لم يطمع أي الفريقين في أموال الفريق الثاني وأملاكه، بينما يوجد في هذه الأيام أناس يحاوِلون غصب أملاك أشقائهم وشقيقاتهم أيضا، ثم تُرفع القضايا في المحاكم.

باختصار، نرى في الصحابة ﷺ نموذج المجتمع الإسلامي الذي جاء المسيح الموعود لاستعادته. فينصح عليه السلام جماعته قائلا أن يضربوا أمثلة القدوة نفسها. ولخلق هذا المجتمع الجميل ولتربية أفراد الجماعة أسس عليه السلام هذه الجلسة. وقال بأن عليكم في هذه الأيام نشر الحب والوئام وتقديم التضحيات. فقال في مناسبة: كونوا فيما بينكم كالشقيقين من بطن أمّ واحدة.

لا شك أن بعض الأشقّاء أيضا لا يراعون حق قرابة الأُخوّة، غير أن الأشقاء يسعون عادةً لأداء حق قرابة الأُخوّة. ويجب أن يكون الحفاظ على صلة قرابة الأخوة والمحبة هذه لوجه الله تعالى. ينبغي أن يكون كل فعل من أفعال المؤمن ابتغاء وجه الله تعالى، وعندها تتيسر له التقوى. يقول الله تعالى إن المؤمنين الذين قدموا هذا النموذج من التضحية والمحبة والمودة والأُخوّة والتعاون فإن أعمالهم صارت مقبولة عند الله تعالى، فرضي الله عنهم في الدنيا وورثوا جنات رضوانه في الآخرة.

من ذا الذي يؤمن بالله تعالى ويوقن به ثم لا يرغب في الفوز بجنات رضوانه تعالى. لن يرغب المؤمن الحقيقي بديلا عن رضا الله تعالى أبدًا. فالفوز برضا الله تعالى يحتم علينا تقديم هذه النماذج الطيبة. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ لِجَلَالِي، اَلْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي.

هذا ما يقول الله تعالى، فما أسمى المقامَ الذي يريد الله تعالى أن يبوئه المؤمنين! وكم هي عظيمة منةُ الله على الذين يصلون قرابة المحبة والأخوّة. وكم هو عظيم الإحسان الرباني على المؤمنين حيث يبلغهم هذه

المكانة العظيمة. فالذين لا يدركون أهمية هذه المنة العظيمة بعد ذلك، فلا شك أنهم في شقاوة هؤلاء السفهاء. لقد جعل سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام الحفاظ على أواصر المحبة والأخوة من غايات بعثته، ونظرًا لأهمية هذا الأمر قد جعله من أهداف جلسته السنوية أيضا، فلا بد لنا أن ننهي ما بيننا من سخط أو شكوى، ونقيم بيننا جوا من المحبة والمودة، ونكون من المؤمنين حقًا، ونقدم الأسوة كتلك التي قدمها لنا الصحابة رضي الله عنهم. يجب أن ندفن ما عندنا من الأنانية الباطلة والغيرة الزائفة.

ثم يقول عليه السلام: على حاضري الجلسة التحلي بالتواضع والانكسار أيضا، لأن الله تعالى يحب التواضع والانكسار جدا. وقال الله تعالى للمسيح الموعود عليه السلام في الوحي مرة: لقد أعجبتْه سبلُ تواضعك. فإذا كنا نبحث عن سبل رضوان الله تعالى فلا بد لنا من البحث عن سبل التواضع. لقد نبه الله تعالى إلى ذلك في القرآن الكريم أيضا حيث قال: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان: ١٩). فإذا كنا نريد الفوز بمحبة الله تعالى فعلينا التواضع والانكسار. لقد قال المسيح الموعود عليه السلام في بيت شعر له: كُنْ أحقرَ من الكل في ظنك، فلعل هذا سيُدخلك في دار الوصال بالله تعالى.

فالحق أن العزة الحقيقية لا تُنال بمدح الإنسان نفسه أو تفاخره أو مشيه بين الناس مرحا، وتفضيل نفسه على الآخرين، إنما يُنال مقام قرب الله تعالى بالتواضع. لقد قال المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام ذات مرة: التكبر أنواع كثيرة، فأحيانا يصدر التكبر بالعين، فعندما ينظر أحد إلى غيره شزرا، فيعني ذلك أنه يحتقر غيره ويرى نفسه خيرا منه. وأحيانا يصدر الكِبْر من اللسان، وأحيانا يكون مصدره الرأس، وأحيانا أخرى يظهر الكبر من الأيدي والأقدام.

باختصار إن للتكبر مظاهر عديدة، وعلى الإنسان أن يسعى لاجتنابها كلها دوما، حتى لا تنبعث رائحة الكبر من أي عضو من أعضائه. كثيرون هم الذين يظنّون أنفسهم متواضعين، ويقولون إننا متواضعون جدا، ولكن فيهم أيضا نوع من أنواع التكبر، لذا يجب اجتناب أدق أنواع التكبر. وأحيانا ينشأ التكبر من الثروة، حيث يعدّ المتكبر الثري غيرَه فقيرا معدما ويقول: من هذا الذي ينافسني؟ وأحيانا يصدر التكبر بسبب العائلة والنسب، حيث يزعم المتكبر أنه من عائلة كريمة وغيره من عائلة حقيرة. وأحيانا يتولد الكبر بسبب العلم أيضا حيث لا ينطق غيره بكلمة خاطئة إلا وينبري هذا المتكبر بعلمه ويخطِّئه ويصرخ بين القوم أن هذا لا يقدر على نطق كلمة صحيحة واحدة.

باختصار إن للتكبر أنواعا كثيرة، وكلها تحرم الإنسان من الحسنات، وتمنعه من نفع الناس، (أي أنه لا يستطيع بسبب كبره أن ينفع الآخرين ويظل محروما من هذه الحسنة)، ويجب اجتناب كافة صنوف الكبر

هذه. ولكن اجتنابها كلها يتطلب موتا (أي أن اجتناب الكبر بكل أنواعه يتطلب من المرء جهادا وكفاحا، والنجاة من الكبر تقتضي موتا وجهادا، أي إصلاحَ النفس وقتْلَ الأنانية وكبْتَها)، وما دام الإنسان لا يقبل هذا الموت فلن تنزل عليه البركة من الله تعالى.

فإن كنتم تريدون نزول بركات الله عليكم فلا مناص لكم من طرد جنّيَّ الكبرِ من داخلكم، ولا بد لكم من قتل عزتكم الزائفة وأنانيتكم الباطلة، وإلا فإن الله تعالى يقول لن تظفروا بمحبتي.

ثم يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام لجماعته بمنتهى الحرقة: إن من أكبر أهداف عقد هذه الجلسة أن يتولد فيكم الصدق والسداد. (أي أن يُحدث هذا الجوُّ الروحاني فيكم تغييرا طيبا بحيث تبلغون أعلى مستويات الصدق والسداد). ذات مرة قال النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ.

وقال المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام: لقد حث القرآن الكريم على التمسك بالصدق حثًا لا أصدق أبدا أنه يوجد عشر معشاره في الإنجيل.

يقول حضرته عليه السلام: "لقد عَدّ القرآنُ الكريم قولَ الزور نجاسةً ورجسًا إذ قال: ﴿اجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾. وقال في آية أخرى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾

إذن لو أحرزنا هذه المعايير لصدْقنا لانحلت مشاكل عائلية كثيرة بين الزوجين والأقارب، وانصلحت علاقات عامة في المجتمع. فحلُّ كل هذه المشاكل يكمن في التمسك بالصدق، ثمة حاجة ماسة للتدبر في هذه الأمور كلها. إذا تخلَّقنا بهذه الأخلاق السامية بحسب أمنية سيدنا المسيح الموعود عليه السلام واجتنبنا السيئات قدَرنا على خلق مجتمع جميل طيب. ولا يغيبن عن البال أن العمل بكل هذه الحسنات واجتناب السيئات يستحيل إلا بالتحلي بالتقوى، كما أكرر من البداية. ولذلك أوصانا المسيح الموعود عليه السلام بالاتقاء بصفة خاصة، فقد قال حضرته عليه السلام في موضع: تحلَّوا بالتقوى، فالتقوى أصل كل شيء، والاتقاء أن يجتنب المرء أدق عروق الذنب، أي أن يتحاشى ما فيه شبهة السيئة. فقال: مَثل القلب كمثل قناة كبيرة تنشقّ منها قنوات صغيرة تسمى جداول، فمن قناة القلب أيضا تنشق قنوات صغيرة مثل اللسان وغيره، إذا كان ماء قناة صغيرة كدرا وقذرا ووسخا يقاس عليه كدورة قناة كبيرة أيضا. فإذا رأيتم أيًّا من أعضاء شخص ما من لسان أو يد أو قدم، نجسا فاعلموا أن قلبه أيضا مثل ذلك. فمن عمل الإنسان وكلامه ولسانه يتبين هل فيه التقوى أم لا.

ثم قال حضرته عليه السلام:

"للتقوى أجزاء عدة. فاجتناب العُجب والزهو والمال الحرام وسوء الخلق أيضا من التقوى. فالذي يُظهر أخلاقا حسنة يصبح أعداؤه أولياءَ. يقول الله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. (فصلت: ٣٥) تأملوا الآن، ماذا يعلّم هذا الهدْي؟ لقد أراد الله ﷻ من هذا الهدْي أنه إذا شتمكم المعاند فلا تردوا عليه بالشتيمة بل اصبروا فستكون النتيجة أن المعاند سيقتنع بفضيلتكم ويندم ويخجل من تلقاء نفسه، وهذه العقوبة أشد بكثير من العقوبة التي يمكن أن تصبُّوها عليه انتقاما. من الممكن أن يستعد المرء للقتل على ارتكاب أمر بسيط، لكن ذلك لا يليق بالإنسانية والتقوى. إن حسن الخلق ميزة تؤثر حتى فيمن هو أكثر الناس إيذاء. نِعْم ما قال شاعر بالفارسية وتعريبه: أحسِن المعاملة، فبحسن المعاملة يصبح الغريب أيضا صديقا حميما.

ثم قال حضرته عليه السلام:

الأمر الحري بالتدبر هو أن على الإنسان أن يهتم بالسعادة والتقوى، وأن يسلك سبل السعادة، وعندها يَصلُح الأمر. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد ١٢) .. إن سوء الظن عبثا والشدة في الأمر باطل وسخيف جدا. إن أهم ما يجب على الناس هو أن يرجعوا إلى الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويتجنبوا هضم الحقوق وسوء الأعمال. من الثابت تماما أنّ ارتكاب شخص واحد سيئةً يتسبب أحيانا في هلاك البيت كله بل المدينة كلها، فاتركوا السيئات، فإنها سبب الهلاك.

وفَّقنا الله ﷻ لإحداث التغييرات الطيبة في نفوسنا سالكين على دروب التقوى، وأن نولِّد فينا بحسب أمنية المسيح الموعود عليه السلام التقوى التي تقينا من كل السيئات وتمكِّننا من إحراز كل أنواع الحسنات. وأن تخلق فينا هذه الأجواءُ الروحانية الزهدَ وخشيةَ الله والورعَ والرفقَ والتحابَّ والتآخي والتواضعَ والحلمَ وأسمى معايير الصدق. فحين نعود من هنا أو الذين يصل إليهم هذا الصوت وهم يستمعون إلى فعاليات الجلسة جالسين في أماكنهم، تولد فينا أجواء هذه الجلسة انقلابا، وحين نخرج من محيط الجلسة يكون قد نشأ فينا انقلاب في الحقيقة، ويلاحظه سكان العالم. عندها يمكن أن نبلغهم رسالة إمام الزمن الأخير وهي رسالة الإسلام الصحيح، وندعوهم إلى الحق. وإلا سيبقى كلامنا أقاويل فقط.

وفقنا الله ﷻ لفهم رسالة سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام والعمل بها. الآن سندعو، فادعوا الله ﷻ أن ينجينا من الأوضاع المعاصرة، وأن يرحم الإنسانية ويخلصها منها. إذا كانت هناك مخاطر اندلاع الحروب فيزيلها، ويعيد شئون الحياة إلى طبيعتها عاجلا، لتُعقد جلساتنا بكل شأن وشوكة كالمعتاد في كل بلد، ويدوم تأثيرها. ادعوا الله للأحمديين في باكستان أيضا أن يفرج الله عنهم ، وادعوا الله أن يخلِّص المظلومين في العالم من المظالم.

يجب أن تهتموا بالتهجد بوجه خاص في هذه الأيام وإن كنتم تقيمون في البيوت، والتزموا بذكر الله والدعاء. فبالدعاء نستطيع أن نجذب أفضال الله ﷻ، وفقنا الله لذلك، وادعوا الله لفك أسر الأسرى في سبيل الله عاجلا. تعالوا ندعُ معا.